

الغزو الفكري والثقافي للامة الاسلامية

التحدي والاستجابة

إعداد

عبد اللطيف محمد سيد أحمد

الغزو الفكري والثقافي للامة الاسلامية التحدي والاستجابة

عبد اللطيف محمد سيد أحمد

Dr. Abdul Latif @gmail.com

ملخص بحث

كانت الحروب الصلبية علامة فارقة بين أوروبا والعالم الاسلامي ولم يقتصر شرها على الجوانب العسكرية والحربية فقط وإنما كانت ايضا شرا ثقافيا وفكريا حيث عملت الكنيسة على تسميم ذهن الانسان الاوربي بتصوير الاسلام والمسلمين بصورة بشعة تقشعر لها الابدان وورثت ذلك للأجيال كابراً عن كابر واصبحت استراتيجية أوروبا الصليبية في كل الحقب التاريخية مبنية على أن الاسلام هو العدو الأول لها الشيء الذي جعل هدفها الاساس يتمثل في القضاء على الاسلام وان تعذر فمسح هوية المسلمين واتخذت لذلك وسائل ناعمة بعد ان فشلت الوسائل العنيفة سواء كانت عسكرية او حربية وتمثل ذلك في الغزو الثقافي والفكري للعالم الاسلامي وقد استعرضت هذه الورقة اساليب هذا الغزو الماكر في الفصل الثاني (بعد أن جعلت الفصل الاول قاصرا على التعريف بمصطلحات البحث) الذي تحدث فيه الباحث عن الغزو الفكري المباشر بالتنصير المباشر وتنصير العقائد والعادات كما أبرز دور الاستشراق والمستشرقين الذين هم عبارة عن جهاز استخبارات ثقافي لدولهم بمدارسهم المختلفة كما تناول الغزو غير المباشر عن طريق العلمانية كوسيلة فاعلة في هذا الغزو حيث استخدم الغرب لنقلها التعليم والقانون والسياسية والاعلام والفنون والآداب كما أشارت الورقة ايضا إلى استخدام الغرب للعمل الطوعي والانساني كوسيلة موجهة لنقل العلمانية لدول العالم الاسلامي لمسح هويته حتي يصبح المسلم لا يحمل من اسلامه الا الاسم فقط .

في الفصل الأخير تحدثت الورقة عن كيفية مواجه هذا الغزو الفكري الثقافي وذلك بالمحافظة على هوية الامة الثقافية والفكرية وبناء المناهج التعليمية على التصور الاسلامي للكون والانسان والحياة وتعريف الدارسين بالتاريخ المشرق للإسلام والمسلمين وحضارتهم البازخة التي كانت سببا في هذه النهضة الاوربية الراهنة باعتراف علمائها ((والفضل ما شهدت به الأعداء)) بالإضافة للاهتمام بتأصيل القانون والاقتصاد والسياسة والاعلام لتصبح حاجزاً لصد هذا الغزو الفكري والثقافي هذا من جانب ومن جانب أخر حتى لا يعيش المسلم في عزلة عما يجري حوله في العالم.

الكلمات الإفتتاحية: الغزو/ الفكري / الثقافي / الأمة الإسلامية / التحديات

Abstract

The Crusades wars a were a milestone between Europe and Islamic world, and their role were not limited to the military and wars sides only, there were also a cultural and intellectual evil, where the Church worked to poison the mind of the European man Portraying Islam and Muslims in a hideous and chilling manner, and inherited this concept for generations to come. The Europe's Crusader strategy of all historical eras has been based on the fact that Islam is the first enemy which made its main goal is the elimination of Islam, if this is not possible, soft means have been taken such as the cultural and intellectual invasion of the Islamic world. This paper reviewed the methods of this insidious invasion in Chapter “2” **(after the first chapter was limited to the definition of research terms)**

The researcher spoke in the chapter “2” about the direct intellectual invasion by direct evangelization and the evangelization of beliefs and customs, he also highlighted the role of Orientalism and orientalists, which is a cultural intelligence for their countries in their various schools. He also dealt with indirect invasion through secularism as an effective means in this invasion, where the West used it to transfer education, law, politics, media, arts and literature. The paper also referred to the West's use of voluntary and humanitarian work as a means of transferring secularism to the countries of the Islamic world to delete its identity so that the Muslim does not carry from Islam any thing except its name.

In the last chapter, the paper talked about how to confront this cultural intellectual invasion by preserving the nation's cultural and intellectual identity and building educational curricula on the Islamic perception of the universe, man and life.

And educating the learners about the bright history of Islam and Muslims and their ancient civilization, which was the cause of this current European renaissance - recognized by their scientists. (and thanks to what witnessed by the enemies) in addition to interest in the consolidation of law, economy, politics and information to become a barrier to repel this cultural and intellectual invasion on one hand and on the other so that Muslim does not live in isolation from what is happening around the world.

key words: Invasion / Ideological / Cultural / Islamic Nation / Challenges

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:-

جعلت أوربا الصليبية الصهيونية الاسلام عدوها اللدود منذ الحروب الصليبية التى منيت فيها بهزائم ساحقة جعلتها تحقد على الاسلام والمسلمين وازداد هذا الحقد ضراوة بعد أن سقطت القسطنطينية في ايدي المسلمين عام ١٤٥٣م بعد أن كان الحلم يراودها بخروج الاسلام من أوربا بعد سقوط الأندلس ولم يرو هذا الحقد دماء المسلمين التى أريقيت هنالك. وحينما تمكنت في القرنين التاسع عشر والعشرين من احتلال العالم الإسلامي أخذت في البحث عن الطريقة المثلي التي تقضي بها على جذوة الاسلام بعد أن لاحظت ان التنصير المباشر والغير مباشر لم يجديا نفعاً فعملت على غزوه فكرياً وثقافياً واستخدمت لذلك وسائل واساليب شتي لعل أبرزها يمثل في نقل العلمانية لدول العالم الاسلامي فكان لابد من التنبيه لخطورة هذا الغزو وفضح اهدافه ووسائله حتي يتمكن المسلمين من مواجهته.

١-اسباب اختيار الموضوع:

سبب اختيار هذا الموضوع يتمثل في العمل على كشف أهداف ووسائل واساليب الغزو الفكري والثقافي لأوربا الصليبية الصهيونية للامة الاسلامية للقضاء على الاسلام ،وذلك بمسح هوية المسلمين الفكرية والثقافية حتى لايبقى للمسلم من الاسلام إلا الاسم وذلك لاستدامة السيطرة عليهم واستقلال خيرات بلادهم.

٢- أهداف البحث:

أ- تبصير المسلمين بخطورة الغزو الفكري والثقافي للأمة .

ب- أن يعمل كل مسلم في مجاله على سد منافذ هذا الغزو.

ج- أن تعمل الطليعة المسلمة على تأصيل العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمواجهة هذا الغزو الفكري والثقافي .

٣- أهمية البحث:

تتمثل أهمية الموضوع في حث الطليعة المسلمة على مواجهة هذا الغزو الفكري الثقافي وذلك بتعزيز مفهوم أن الاسلام هو عقيدة وشريعة ومنهاج حياة بعد القضاء على الاسلام .

٤- منهج البحث:

يعتبر منهج الباحث في هذه الورقة منهجاً تاريخيا استقرائيا استنباطياً تحليلياً حاول أن يتتبع الغزو الفكري والثقافي وتطوره في حقب تاريخية مختلفة محللا ومعللاً لاسباب تغيير خططه واساليبه مرة تلو الاخري ثم استقرأ واستنبط وسائل مواجهته باعتباره تحدي لابد له من استجابة حتى تنهض الامة الاسلامية من كبوتها.

٥- هيكل البحث-:

يتكون البحث من مقدمة تشتمل على اسباب إختيار الموضوع، أهدافه، أهميته، منهجه وهيكله ثم تلي المقدمة ثلاثة فصول يحتوى كل فصل منها على ثلاثة مطالب ،حيث تناول الباحث في الفصل الأول التعريف بمصطلحات البحث واحتوي الفصل الثاني على مهددات الأمن الفكري والثقافي للامة أما الفصل الثالث فقد رصد فيه الباحث وسائل واساليب مواجهة هذا الغزو الفكري والثقافي.

الفصل الأول

تأصيل مفاهيم مصطلحات البحث

يشتمل هذا الفصل على ثلاثة مطالب على النحو الآتي:

المطلب الاول : مفهوم الأمن في اللغة والاصطلاح

يعتبر الأمن من الحاجات البشرية الفطرية يجئ متلازماً مع حوجة الطعام والشراب((الذي أطعمهم من جوع وأمنهم من خوف))[١]

الأمن لغة :- يعني الطمأنينة والسكينة [٢]

أمن أمناً ،اماناً وأمنه،إطمأن ولم يخف فهو آمناً ،أمن يعني (الأمان والأمانة) بمعني واحد وقد أمنت فأنا آمنة ، أمنت غيري((من الأمن والأمان)) والأمن نقيض الخوف ((وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً))[٣] والخوف يعني التهديد الشامل سواء كان تهديداً عسكرياً أو سياسياً أو اقتصاديا أو اجتماعيا وبسبب عوامل داخلية أو خارجية وفي قوله تعالي ((والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين))[٤] أي البلد الأمن الذي إطمأن فيه أهله.

الأمن اصطلاحاً:- يعني الإجراءات التأمينية التي تتخذ لحفظ أسرار الدولة وتأمين أفرادها ومنشأتها الحيوية وقيمها ومصالحها القومية من الأفكار والمهددات والأخطار الداخلية والخارجية.

ارتبط الأمن بنشأة الدولة القومية ولذلك أخذ في بدايته الطابع السياسي والعسكري وعمل على المحافظة على الدولة ككيان إقليمي في وجه الأخطار الخارجية .

وفي سياق التطور التاريخي تطور مفهوم الأمن وذلك لبروز دور الايدولوجيا وتفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية في بعض المجتمعات الشئ الذي جعل أمن الدولة يأخذ أشكالاً متعددة ثقافية وفكرية واجتماعية

١- أية رقم ٤ سورة قريش

٢- لسان العرب م ١٣ دار الفكر بيروت ١٩٩٠ص٢١

٣- أية رقم ٥٥ سورة النور

٤- أية رقم ٢ سورة التين

واقتصادية فالمجتمعات التي تعاني من الانقسامات الثقافية والاجتماعية أو التخلف الاقتصادي تصبح أكثر عرضه لتهديد أمنها من قبل القوىالخارجية بل قد يتهدد ذاتياً من جراء تفاقم الانقسامات الثقافية والاجتماعية دونما حاجة لفعل خارجي.

من هنا أخذ مفهوم الأمن هذه الابعاد ولم يعد قاصرا على البعد الاستراتجي العسكري وحده وهو ما يعرف بالمفهوم الشامل للأمن وذلك يعني أن الأمن ما عاد يعني قوة الدولة العسكرية فقط بل يعني قدرة الدولة كمفهوم أشمل من القوة لأنها تعتبر احد عناصر القدرة التي هي عبارة عن نسيج متشابك تتداخل فيه العناصر السياسية، الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية ، التكنلوجية والإعلام وهذا ما يعرف أيضا بالأمن غير التقليدي.

تأصيل مفهوم الأمن الفكري-:

اهتم الصحابة رضوان الله عنهم أول ما اهتموا بالأمن الفكري فكانت دعوة عمر ابن الخطاب للخليفة أبو بكر الصديق بجمع /القران خوفاً من التحريف والتصحيف رغماً من أن الله تكفل بحفظه حين قال) ؛ إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون)[١] فهو لا شك المصدر الفكري الأول للمسلمين وهم بهذا فقد عملوا على نقل القرآن نقل كافه عن كافة((منهج التواتر))

وليس نقل افراد كما هو الحال في نقل التوراة والإنجيل مما عرضهما للتحريف والتصحيف. ثم جاءت الخطوة الثانية بتأمين المصدر الفكري الثاني للمسلمين وهو السنة المطهرة فقد ابتكر الصحابة من الوسائل التي تأمنها وتحميها من التصحيف وتعمل على تبيين الحديث الصحيح من الموضوع من الضعيف.....الخ. فنشأت علوم الرواية والدراية أي السند والمتن ثم كان علم الجرح والتعديل(علم الرجال) وأغلقوا بذلك الباب على الوضاعين والمنافقين كعبدالله بن سبأ اليهودي[٢] وغيره ثم عملوا بذات النهج على حفظ التاريخ

---

١ – سورة الحجر الآية ١٥

٢ – عبد الله بن سبأ يهودي تظاهر بالاسلام وعمل على تغويضه من الداخل وألب الامصار على سيدنا عثمان بن عفان مما أدى لمقتله وظهور الفتنة الكبرى بين المسلمين.

الإسلامي فأوردوا كل الروايات للواقعة المعينة مع ترجيح أحدها على الأخريات.

اللغة العربية:-

لما كانت اللغة العربية هي الوعاء الذي يحمل الوحي (القرآن والسنة) وهما المصدر الفكري للمسلمين كان لابد من الاعتناء بها وتأمينها من الاندثار خاصة بعد الفتوح الاسلامية ودخول اللغات الأخرى عليها. فنشأت علوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة...الخ. والتي عملت أيضاً على تسهيل تعليمها للأعاجم الذين دخلوا في الإسلام ليفهموا مراد الوحي فهماً صحيحاً. ثم قامت بعد ذلك العلوم المساعدة لفهم هذه الأصول الفكرية كالتفسير والتأويل،وأسباب النزول والمكي والمدني،والناسخ والمنسوخ وكتب الصحاح والمساند والمجامع والمستدركات الخ.

الدولة الفارسية:-

دخل الإسلام الى بلاد فارس بعد سقوط الامبراطورية الفارسية الشيء الذي أدي لظهور محاولات للنيل من الإسلام ثقافياً وفكرياً بعد أن عجزوا عن القضاء عليه في ميدان الحرب والقتال فظهرت بعض الثقافات والأفكار المنحرفة والشاذة وعملوا على الصاقها بالاسلام كالمجسمة والرافضة والقرامطة والباطنية والاسماعلية ...الخ والتي تصدى لها المفكرون والعلماء المسلمين بالتفنيد والدحض على مدار التاريخ فأمنوا بذلك عقول المسلمين وأفكارهم وهو ما يحتاج له المسلمون في كل زمان ومكان ومن هنا تجئ أهمية الأمن الفكري والثقافي.

المطلب الثاني :- مفهوم الفكر في اللغة والاصطلاح

الفكر لغة :-

هو أعمال الخاطر في الشئ يقول الجوهري[1] التفكير في الشئ يعني التأمل، الاسم يعني الفكر والفكرة والمصدر الفكر

١ - ابن منظور لسان العرب م(دار الفكر بيروت ١٩٩٠ص ٧)

الفكر في الاصطلاح:- يعني أعمال الذهن في آيات الله المسطورة والمنظورة وذلك بالتدبر في البيئة المحيطة بالإنسان لمعرفة الوسائل والطرق التي يمكن بها تسخيرها لخدمته وترقية أساليب معاشه مستخدماً الملاحظة والتجربة والاستقراء والاستنباط العقلي.

يعتبر التفكير السمة الأساسية للإنسان والتي يختلف بها عن كل الكائنات ولذلك حينما أرادوا أن يعرفوا الإنسان، قيل ((الإنسان حيوان مفكر)) وأن كان من الصعب تحديد نقطة بداية التفكير الإنساني ولعلها ترجع إلي قصة هابيل وقابيل ((ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي))[١] وعلى مستوى الأمم والشعوب ربما يرجع التفكير لحضارات الشرق في وادي الفرات والنيل والهند والصين ثم الحضارة اليونانية حيث افرز التفكير حصيلة ضخمة من المعارف ساعدت الإنسان في هذه الحضارات على تحقيق انجازات مادية كبرى بالإضافة للأديان والفلسفات ،وان ربط التفكير بقدماء اليونان خاصة يرجع في اعتقادي لأنهم يمتلكون حافز أخر يضاف إلي حافز الانجاز العملي هو الرغبة في الإقناع .

عم الركود في التفكير العصور الوسطى الأوربية (٣-١٤) من القرن الثالث حتى الرابع عشر حيث ساد فيها أن العلم بلغ قمته العليا عند ارسطو و ما قاله هو الكلمة الأخيرة في أي ميدان من ميادين العلم وفي مقابل ذلك في العالم الإسلامي كانت هناك حضارة فتية تتسم بالايجابية والتوسع والانفتاح على العالم فقد عرف المفكرون المسلمون علوم اليونان ،الفرس، الهند وأعاد التفكير الإسلامي النظر في هذا التراث العلمي اليوناني النظري حيث كانت ممارسة العلماء المسلمين تسير في اتجاه العلم التجريبي واستخدام البحث العلمي من أجل فهم قوانين الطبيعة المحيطة به وقد أخذوا ذلك من إشارات القرآن المتكررة للتدبر في أيات الكون والأنفس ((سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق))[٢]((إن في خلق السموات والارض واختلاف

١ – آية ٣١ سورة المائدة
٢ – أية ٥٣ سورة فصلت

الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون))[١] وقد برع منهم أفذاذ أمثال جابر بن حيان في الكيمياء والحسن بن هيثم في البصريات والبيروني في الفلك والرياضيات والرازي وابن سيناء وابن النفيس في الطب وغيرهم وقد كان هدفهم من ذلك استخدام هذا التفكير من اجل كشف أسرار العالم الطبيعي وتمكين الإنسان من السيطرة عليه ويعتبر هذا المنهج الذي يجمع بين النظرية والتطبيق أمرا طبيعيا في حضارة قامت على أساس الجمع بين الدنيا والدين.مرتكزة على تعالى((وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا)) [٢]

هكذا تعلم المسلمون من الإسلام أمرين في أن واحد البحث والتدبر في أيات الأفاق والأنفس ثم الخروج من بحثهم وتدبرهم بثمرة عملية تنفع الناس في حياتهم (لا خير في علم لا ينفع) [٣] ومن ثم ولد المنهج التجريبي على أيديهم يقول بريفولت ((أما ما ندعوه العلم فقد ظهر في أوربا نتيجة لروح من البحث جديدة ولطرق من الاستقصاء مستحدثة من طرق التجربة والملاحظة والمقاييس ولتطور الرياضيات إلى صورة لم يعرفها اليونان وهذه الروح وتلك المناهج العلمية أدخلها العرب إلى العالم الأوربي)) [٤] وقد كان هذا المنهج التجريبي من أهم عوامل النهضة الأوربية الحديثة حيث أصبحت المؤلفات العربية منذ القرن الثاني عشر تترجم إلى اللغة اللاتينية وأظهرت الفروق بين التفكير الفلسفي الموروث من قدماء اليونان والتفكير العلمي الموروث من علماء المسلمين وقد تبني الفيلسوف الانجليزي فرنسيس بيكن[٥] الدعوة لهذا

---

١ – اية ١٦٤ سورة البقرة

٢ – سورة القصاص أية ٧٧

٣ – حديث شريف، رواه زيد بن مسلم الأرقم وأخرجه مسلم حديث رقم ١٤٨٧ص ٥٠٦

٤– محمد اقبال تجديد الفكر الديني ترجمة عباس محمود العقاد القاهرة ١٩٦٤م ص ١١٧

٥ – فيلسوف انجليزي يعتبر أحد دعاة الفلسفة المادية التي تعتبر الحواس الخمسة وسيلة المعرفة الوحيدة.

المنهج الجديد ليستقل بعدها العلم عن الفلسفة التي تقوم على التأمل أما العلم فيعتمد على الملاحظة والتجربة واستقراء الظواهر بالإضافة للاستنباط العقلي وتعليل الظواهر ومعرفة أسبابها ،يقول بريفولت أيضا ((أن روجر بيكون[١] درس العربية والعلم العربي في مدرسة اكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الاندلس وليس له ولا لسميه فرنسيس بيكون الذي جاء بعده الحق في أن ينسب اليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلي أوربا المسيحية وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة))[٢] قاد هذا المنهج التجريبي أوربا لاكتشافات غيرت الكثير من المفاهيم التي كانت سائدة في القرون الوسطى والتي كانت تعتبرها الكنيسة معارف مقدسة مما دفعها لمحاربة العلماء والمفكرين وحرقهم وتعذيبهم وكانت ردت فعلهم هى الدعوة للكفر بالكنيسة وإلهها والدعوة لعبادة الطبيعة وقيام نظريات فلسفية مادية تعتمد على التأمل والفكر الحر كالشيوعية والوجودية وغيرها ترفض الدين جملة وتفصيلا وأخرى كالعلمانية والقومية وغيرها تدعو إلى فصل الدين عن الدولة.

المطلب الثالث :مفهوم الثقافة لغة واصطلاحاً:

الثقافة لغة :-

هي من ثقف الشيء يعنى شحذه وهذبه وتعنى أيضاً الانقداح والتولد ثم استعملت مجازاً بمعنى تقويم العقل وتهذيبه كما استخدمت بمعنى الفطانة أما اصطلاحًا فتعنى طريقة التفكير والسلوك وأسلوب الحياة من المعاش والملبس والمأكل والمشرب والمعتقد والأخلاق والقيم والآداب والفنون والعادات والتقاليد والإرث التاريخي للأمة. نلاحظ أن مصطلح الثقافة يزاوج بين الكسب العلمي والمعرفي والاستيعاب الفني والأدبي والنمط السلوكي في الحياة وهذا يعنى أن

١- مفكر انجليزي يعتبر أحد رواد النهضة الاوربية
٢- نجيب العقيقي المستشرقون القاهرة ١٩٨٠م ص٢٠

الثقافة شأن خاص بكل مجتمع على عكس العلم فهو حقائق محضة لا تتغير من موضع لأخر ولا من زمان إلى زمان . لما كانت الثقافة هي مجموعة التوجهات القيمية التي تحدد سلوك الأفراد في مجتمع معين سواء انحدرت من الماضي أو نتجت عن الواقع الإجتماعى ذاته فدورها الأمني ينبغي أن يدفعها في تحقيق تجانس في المجتمع ليكون محصناً ضد التمزقات الداخلية والمهددات الخارجية أو من تفاعلهما معاً و لكن ذلك ليس ميسوراً في ظل سيطرة مفاهيم الثقافة الغربية وقيمها تحت غطاء الحريات المختلفة الشخصية والسياسية والاقتصادية والدعوة للشفافية وحقوق الإنسان وتأثير ثقافة الانترنت والفضاءات المفتوحة التي يركز الغرب على بثها في دول العالم الإسلامي لمحو هويته الثقافية والفكرية واستلابه ثقافيا وفكريا مستقلا تبعية بعض أفراد الصفوة المثقفة للمجتمعات الغربية كأحد مداخل الاختراق الثقافي للمجتمعات المسلمة في بلادها.

علاقة الثقافة بالحضارة والمدنية-:

الحضارة تعنى سكون الحضر. والحاضر هو المقيم في القرى والمدن خلاف البادي (هو المقيم في البادية) يقول العلامة ابن خلدون(١) في المقدمة ((إن الحضارة هي النمط من الحياة المستقرة الذي يناقض البداوة ويضفى على حياة أصحابه فنوناً منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة)) والمفهوم العام للحضارة يشمل جميع أوجه الحياة المادية والمعنوية. والثقافة إذن تعنى بالجانب الفكري والعقدي والخلقي في حياة الأمة أما المدنية فهي نسبة إلى المدينة فتعنى بالجانب المادي المتمثل في التفنن في أساليب العيش والمسكن والملبس والمركب وغير ذلك وبهذا المفهوم تكون الحضارة هي الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة ولا يمكن أن توجد حضارة متماسكة دون أن تقوم على ألأساس الفكري والعقدي الذي تمثله الثقافة من جانب وعلى التقدم المادي الذي تمثله المدنية من جانب أخر.

---

١ هو عبد الرحمن ابن خلدون المفكر المغربي المشهور – صاحب المقدمة المشهورة مقدمة ابن خلدون التي وضع فيها اسس علم الاجتماع وفلسفة التاريخ

الفصل الثاني

مهددات الأمن الفكري والثقافي للامة.

يحتوي هذا الفصل على ثلاثة مطالب هي-:

المطلب الأول:- الغزو الفكري المباشر-:

باءت محاولات الغرب المتكررة لهزيمة المسلمين والقضاء على الاسلام في الحروب الصليبية وبالاحتلال المباشر والاستعمار في القرن التاسع عشر بالفشل وتكبدوا خسائر فادحة في الأرواح والأموال الشيء الذى جعله يفكر بعدها في وسائل أخرى غير المواجهة العسكرية العنيفة لغزو العالم الإسلامي وهزيمته فعمل على غزوه ثقافياً وفكرياً عبر محورين هما التنصير والاستشراق.

التنصير-: هو عملية تحويل الافراد أو الشعوب الى الديانة المسيحية بالفرض القسري او التحول الثقافي والحضاري بدلاً عن ثقافتهم الاصلية.

انطلق المنصرون مع الطلائع الأولى للاستعمار الصليبي لدول العالم الإسلامي لتنصير عوام المسلمين مستلغين جهل بعضهم بحقيقة الاسلام للتقرير بهم مستخدمين لغة الشتائم والتجريح للإسلام والمسلمين ولما تبين لهم استحالة ذلك عدلوا عن التنصير المباشر لتنصير أفكار المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم ونظرتهم للحياة يقول لورد كرومر[١] حاكم مصر الانجليزي في ذلك ((إن مهمة الرجل الأبيض الذي وضعته العناية الإلهية على رأس هذه البلاد أن يجعل النصرانية هي قاعدة التعامل مع المحافظة التامة على المظاهر الخاوية للدين الإسلامي كعطلة الجمعة والعيدين وما إلى ذلك منعاً من إثارة الشكوك[٢])) يؤكد ذات المعنى المستشرق أ. شاتلييه قائلا ((ولاشك في أن الإرساليات التبشيرية من بروتستانتية وكاثولكية تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها ولا يتم ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوربية فبنشرها (الانجليزية والألمانية ، الهولندية ، الفرنسية))يحتك الإسلام بصحف أوربا وتتمهد السبيل لتقدم إسلامي مادي وتقضي ارساليات

---

١ - لورد كرومر اول حاكم انجليزي لمصر بعد الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢م

٢ - لورد كرومر مصر الحديثة ترجمة د. عمر فروخ القاهرة ١٩٨٧م ص١٢٧

التبشير لبانتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التي لا تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها [١])) يؤكد هذا النص أيضا أن السياسات التعليمية التي وضعها المستعمر الهدف الأساسي منها هو نقل العلمانية لدول العالم الإسلامي إذ في هذا النص يشير المستشرق لأهمية تعليم اللغات الغربية ويشير لدورها الفاعل في التنصير الفكري للمسلمين.

يتضح بهذا أن التنصير هو عملية سياسية صليبية وليس مجرد محاولة لنشر الديانة المسيحية وهو أذن من أهم وسائل الغزو الفكري التى استخدمت لهدم الإسلام وتوهين عُرى الدين في نفوس المسلمين وإشاعة الضعف والانحلال فيهم ليستولى الغرب عليهم وذلك بالربط بين واقع المسلمين وتأخرهم وانحطاطهم وجهلهم وبين الإسلام ذاته وهو لذلك سلاح خبيث يصر الغرب على استخدامه لصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، يقول شاتليه ((ولا ينبغي لنا أن نتوقع من جمهور العالم الاسلامي ،أن يتخذ له أوضاعاً وخصائص أخري اذ هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية (أي المستمدة من الإسلام) إذ الضعف التدريجي في الاعتقاد بالفكرة الإسلامية وما يتبع هذا الضعف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له سوف يفضي بعد انتشاره في كل الجهات إلى انحلال الروح الدينية من أساسها لا إلى نشأتها بشكل آخر)) [٢]

يعنى ذلك أن يكون الإسلام هو مجرد أن يحمل الإنسان اسماً إسلامياً محمد ،أحمد وان يؤدي بعض الشعائر الإسلامية التعبدية ولاعليه بعد ذلك أن يكون منهج حياته كله ومنهج تفكيره مستمداً من غير الإسلام وذلك وفقا لما قاله الأب زويمر[٣] في مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م(لا ينبغي أن يقنط المبشرون حين يرون نتيجة جهدهم ضعيفة،أن مهمتنا الأولي ليست هي تنصير

١ – أ شاتلييه الغارة على العالم الاسلامي ص٢٤٧
٢ – المرجع السابق ص٢٥١
٣ – قسيس ومبشر انجليزي نذر نفسه للتنصير في افريقيا وآسيا

المسلمين وإنما هي صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام وفي هذا نجحناً نجاحاً باهراً بكل تأكيد)) [١]

إن جهود التنصير ومن بعدها جهود الإستشراق وهي مجرد امتداد لها استطاعت ان تفعل كثيراً في الغزو الفكري بصرف المسلمين عن التمسك بدينهم وكانت بذاك أكبر سند للاستعمار الصليبي الصهيوني الذي يرصد الإمكانات المادية والعلمية والمالية الضخمة للتنصير والاستشراق للقضاء على الإسلام.

الاستشراق:

يعني دراسة الشرق لغاته وأديانه وتاريخه وجغرافيته الطبيعية والبشرية . إن الاهتمام بدراسة اللغة العربية والعلوم الاسلامية التي هي موضوع الاستشراق قديم في أوربا يرجع إلى العصور الوسطى واتخذ عدة اطوار مربوطة في كل طور بدوافع دينية وسياسية واقتصادية لأوربا يمكن حصرها في الآتي:-

الطور الأول :- في القرون الوسطي اتجهت أوربا للاندلس وشمال أفريقيا ليتعلم ابناؤها العربية والعلوم الاسلامية من طب وهندسة وفلك وفيزياء .....الخ يقول نجيب العقيقي ((وبدأ الاستشراق اكثر ما يكون تنظيماً وانتشاراً واستمراراً بالفاتيكان باباوات واساقفه ورهباناً))[٢] حيث كان الاستشراق في هذا الطور يهدف للتزود بالمعارف والعلوم والتي لم تكن متاحة يومئذ الا عند المسلمين .ويقول ايضاً((وكان رجال الدين ومركزهم الفاتكان يومئذ يؤلفون الطبقة المتعلمة في أوربا ولاسبيل إلي ارساء نهضتها الا على اساس من التراث الانساني الذي تمثله الثقافة العربية فتعلموا العربية ثم اليونانية ثم اللغات الشرقية للنفوذ منها اليه ....)). [٣]

---

١ نجيب العقيقي المستشرقون القاهرة ١٩٨٥ص١٠٧
٢ – المرجع السابق ص٣٧
٣ – المرجع السابق ص ٣٧

وفي الطور الثاني:- أزعج الكنيسة تغلغل المفاهيم الاسلامية في أوربا فقامت تنافح عن نفسها بمحاكم التفتيش وتجنيد رجالها لتشويه صورة الاسلام في نفوس الناس لتنفيرهم منه وابعادهم عنه،ولم يكن موقفها من العلماء الذين قالوا بكروية الأرض خوفا من أن يؤثر العلم على الخرافة التي كانت تعيش بها فقط ولكن لأن هذه العلوم كانت اسلامية في اصلها فكانت في نظر الكنيسة غزواً فكريا اسلامياً يجب التصدي له بكل قوة حتي لايمتد أثره في العامة ولذلك أحرقت جوردانو[١] برونوجيا وسجنت وعذبت الكثير. كما عملت على تنفير الأوربيين من الإسلام وتصويره بصورة منكرة وكلفت كتابها وفنانيها بأن يقوموا بهذا التشوية المتعمد وجيشت الجيوش لحرب المسلمين بحجة استرداد بيت المقدس متخذة الصليب شعاراً لها فيما عرف بالحروب الصلبية ولكنها هزمت فزاد ذلك من حقدها على الاسلام . وهي لعلها المرة الاولي في التاريخ التى تتحقق فيها وحدة اوربا في وجه العالم الاسلامي وتولدت بذلك فكرة المدنية الغربية بعد أن كانوا من قبل شيعاً جرمان وانجلو ساكون ، وفرنسيون، دنمارك، ايطاليون، سلاف ،وبذا تكون وحدة أوربا قد ولدت من روح الحروب الصليبية كما قال محمد اسد [٢] ((ولقد اتفق في ذلك الحين وللمرة الأولى في التاريخ أن أوربا أدركت في نفسها وحدة ولكنها وحدة في وجه العالم الإسلامي ويمكننا أن نقول من غير أن نوغل في المبالغة إن وحدة أوربا ولدت من روح الحروب الصليبية))[٣] بذلك يتضح أن الحروب الصليبية كانت بذوراً سامة لعداوة طويلة الامد مع الاسلام والمسلمين بالاضافة للشر الثقافي الذي نشأ بتسميم العقل الأوربي بتشويه الكنيسة لتعاليم الاسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلة في الغرب كما زاد هذا العداء اكثر بعد سقوط القسطنطينية في أيدي المسلمين عام ١٤٥٣م

١ – عالم ايطالي قال بكروية الارض

٢– محمد اسد مستشرق نمساوي كان اسمه ليبولد فانيس اسلم وسمى نفسه محمد اسد

٣ – محمد أسد الاسلام على مفترق الطرق ترجمة د. عمر فروخ ص١٨٧

اما في الطور الثالث، حينما ضعف العالم الاسلامي انتهزت أوربا ذلك فأخذت في احتلال دول العالم الاسلامي بحثاً عن المواد الخام والاسواق لمنتجاتها وللقضاء على الاسلام قبل ذلك كله كما يقول لورنس براون[١](الخطر الحقيقي كامن في نظام الاسلام وحيويته انه الجدارالوحيد في وجه الاستعمار الاوربي ولذلك يجب تحطيمه بطبيعة الحال)[٢] وكانت الخطة (ب) إذا استعصى تحطيمه يجب العمل على تفريغه من محتواه وذلك بصرف المسلمين عن التمسك بالاسلام وفتنتهم عن مصدر قوتهم الحقيقي وتوهين عرى الدين في النفوس ولايبقى منه إلا صلة العبد بربه في صورة شعائر دينية وتملأ الحضارة الأوربية الفراغ الذي يتركه انحسار الاسلام في النفوس .

أما في الطور الرابع حيث لبس الاستشراق ثوب العلم والبحث العلمي ليؤثر على الطبقة المثقفة التى تتولى قيادة الامة ويكون ذلك أفعل في صرف المسلمين عن الاسلام وهم بذلك خلاصة الصليبية الممتدة في التاريخ وخلاصة التبشير .

يقول محمد أسد ((أما تحامل المستشرقون على الاسلام فغريزة موروثة وخاصة طبيعية تقوم على الموروثات التي خلفتها الحروب الصلبية بكل ما لها من ذيول في عقول الأوربين الأوليين))[٣] و ذلك بالرغم من اختفاء الروح الديني الذي كان سبب العداء مع العالم الاسلامي بسبب المناخ المادي الذي يعيشه الغرب إلا أن النفور القديم قد بقي في العقل الباطن للأوربين ومازالت تغمر حضارتهم روح الحروب الصليبية .

قال جلادستون[٤] (إن الحرب العسكرية والسياسية والاقتصادية قد تؤدي إلى اخضاع العالم الإسلامي ولكنها لن تؤدي الى صرفه عن الاسلام وهو

١ – لورانس براون مستشرق انجليزي
٢ د. محمد اقبال تجديد الفكر الديني ترجمة عباس محمود العقاد القاهرة ١٩٦١ص١٣٠
٣–المرجع السابق ص١١٣
٤ –جلادستون رئيسوزراء بريطاني سابق ويعتبر أحد مهندسي الاستعمار البريطاني صليبي حاقد علي الاسلام والمسلمين

الضمان الوحيد لاستمرار سيطرة الغرب على العالم الاسلامي)[١] ذكر ذلك في مجلس العموم البريطاني عام ١٨٨٣/ بعد احتلالهم لمصر وهو ممسك للمصحف في يده(طالما كان المصريون متمسكين بهذا الكتاب فلن يقيم لنا قرار في تلك البلاد)،ولذلك كان التنصير والاستشراق الذي هو امتداد للأول دور كبير في صرف المسلمين عن دينهم وبذلك فهما سنداً للاستعمار الصليبي الصهيوني. وقد أخذ الاستشراق الحديث يعمل على الآتي:-

١- رصد كل نشاط اسلامي فكري او حركي في دول العالم الاسلامي وابلاغ دولهم به أول بأول مع الاشارة عليها بما ينبغي عمله تجاه ذلك النشاط فهم بهذا جهاز مخابرات ثقافي.

٢- التشويش على المسلمين وفتنتهم عن دينهم وتشتيت جهودهم وافكارهم عن إقامة حركة بانية هادفة لتحقيق الاسلام في الارض في أي بلد من بلاد الاسلام. وهم بذلك جنود في خدمة المخطط الصليبي الصهيوني الرامي الى القضاء على الاسلام.

المستشرقون :-

هم ورثة المنصرين وان كان الأقدمون من المستشرقين لا يختلفون كثيراً في أسلوبهم من المنصرين فقد كان اسلوبهم يعتمد على الطعن المباشر في الاسلام والتجريح والتشويه والتنفير والدعوة السافرة إلي الخروج من الاسلام أما المحدثون منهم فقد أخذوا السمت العلمي الموضوعي والمنهجي وذلك لأن الصليبية خشيت أن يقود التنصير الصريح لدفع المسلمين للتمسك بدينهم أكثر في مواجهة الشتائم المتوحقة والطعن الجارح كما أطمانت في ذات الوقت بارساء قواعدها على المنهج التعليمي الذي اختطه دانلوب[٢] بتخريج أجيال من المسلمين لا يعرفون دينهم وينفرون نفوراً ظاهراً أو خفيا من الحياة الدينية ولهم الاستعداد لنبذه فإستحسنوا أن يكون التنصير خفياً يتخذ ثوب العلم والتعليم ذلك

١ - المرجع السابق ص ٢٣

٢ - مستر دانلوب قسيس انجليزي خريج مدرسة اللاهوت لندن انتدبه لورد كرومر لوضع السياسة التعليمية في مصر .

من حيث الشكل أما من حيث الموضوع والأهداف النهائية المراد تحقيقها فلا خلاف بين المنصرين والمستشرقين القدامى والجدد.

أهداف المستشرقين:-

هنالك مجموعة من القضايا أو الشبهات والدعاوي يثيرها المستشرقون في كل مرة مع اختلاف طفيف في الصورة بين كاتب وأخر وذلك لجملة أهداف منها :-

١-الشوشرة على أذهان المسلمين لخلخلة عقيدتهم .
٢-دفع المسلمين للرد وإنفاذ طاقتهم في ذلك عن العمل والبناء.
٣-احراجهم بالاتهامات المستمرة ليتنصلوا عن بعض حقائق دينهم التي يرغبوا أن يزحزحهم عنها كالجهاد مثلا.
٤-استدراجهم اثناء عملية الدفاع عن دينهم لاعلان صورة غير صحيحة عن الاسلام تخدم الصليبيين كقول بعض المسلمين أن الاسلام يسوي بين الرجل والمرأة في كل شئ أو يعطيها كل الحريات التي في الغرب

الموضوعات التي درج المستشرقون على تناولها يمكن الاشارة إلي بعضها فيما يلي-:

١-التشكيك في صحة العقيدة وكون الاسلام ديناً منزلاً من عند الله والتشكيك في كون الرسول تلقي وحياً من الله
٢- تشويه صورة الرسول واصحابه بما يثير الشك في دوافعهم وأعمالهم.
٣-تشويه التاريخ الاسلامي بتصويره بشكل مشوه لا يدفع أحداً ليعتز به .
٤-الإحاء بأن الإسلام اصبح شيئا من تراث الماضي وانه دين عربي فقط ورجعي لايصلح للتطبيق اليوم علاوة على تكبيله للمرأة.
٥-تمييع مفهوم الإسلام كما انزل من الله بالقول بأن الناس يمكن أن يكونوا مسلمين ولو تحاكموا رضين لغير ما أنزل الله ما داموا يحملون أسماء اسلامية وحتى ولو لم يؤدوا العبادات المفروضة .
٦-تبني الحركات الإسلامية المنحرفة كالبهائية والقديانية...الخ

يمكن تقسيم ابحاث وكتب المستشرقين إلى المدارس الاتية:-

١-مدرسة المهاجمين وهي التي تغلب عليها صفة الهجوم على الاسلام وكيل التهم له وهذه يمثلها مرجليوث[١] وفلهوزن. [٢]

٢-المدرسة الحديثة وهي مدرسة تمزج المديح بالغمز واللمز أي تدس السم في العسل ويمثلها مستر جب[٣] وجرونيباوم.[٤]

٣-مدرسة المديح الخالص ولكنها تصل لذات أغراض سابقاتها في التشويش والتشكيك للمسلمين ويمثلها واشنطن إرفنج.[٥]

٤-مدرسة التوجيه وهذا التوجيه إما أن تكون ابحاثه موجة للمسلمين انفسهم للتشكيك والتشويه أو موجه للدول الغربية باعتبارهم جهاز الاستخبارات الثقافي كدراسة مروبرجر[٦] عن العالم الاسلامي اليوم وهربر وكمنجيان[٧] عن الحركات الاصولية في العالم الاسلامي.

١مرجليوث مستشرق بريطاني١٩٤٠متخرج في جامعة اكسفورد١٨٨٩م اهم كتبه الديانة المحمدية

٢:- فلهوزن مستشرقون الماني ١٨٨٤- ١٩٧١ خريج مدرسة اللاهوت ثم الدراسات الشرقية اهم كتبه تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية

٣ - أ. رجب مستشرق انجليزي معاصر عضو مجمع اللغة العربية أهم كتبه الاتجاهات الحديثة في الاسلام

٤- جرونيباوم ،جوستناف أ.فون مستشرق نمساوي معاصر ١٩٠٩م ولد في فينا وتخرج في جامعة فينا ثم برلين ثم هاجر إلى أمريكا حيث كان رئيس قسم الدراسات الشرقية في جامعة كلفورنيا اهم كتبه حضارة الاسلام

٥ - واشنطن ارفنج مؤرخ امريكي معاصر كان وزير مفوض لبلاده في اسبانيا حيث وقف على الحضارة الاسلامية بالاندلس

٦ - مروبرجر - عالم اجتماع امريكي معاصر

٧- مستشرق فرنسي معاصر متخصص في الحركات الاسلامية او مايسمى بالاسلام السياسي

المطلب الثاني :- الغزو الفكري غير المباشر.

العلمانية:-

تعتبر العلمانية أهم أدوات الغزو الفكري والثقافي غير المباشر فما هي العلمانية؟ معناها كما جاء في القاموس الانجليزي ((دنيوي أو مادي أو ليس بديني أوليس بروحاني))[١] وعرفتها دائرة المعارف البريطانية بأنها حركة اجتماعية تهدف إلى نقل الناس من العناية بالاخرة للعناية بالدنيا فحسب وتحدثت عنها ضمن حديثها عن الإلحاد وقد قسمته إلى نظري وعملي وجعلت العلمانية ضمن الإلحاد العملي والعلمانية ((SECULARISM)) لا شأن لها بالعلم كما يزعم بعض دعاتها فالعلم بالانجليزية((SCIENTISM))كما لا شأن لها بالعالم كما يحاول البعض الأخر أن يجعلها مشتقة منه فالعالم بالانجليزية ((universe)) والترجمة الصحيحة لها ((SECULARISM))هي اللادينية أو الدنيوية.

وهذا يعني أن العلمانية مذهب فكري اجتماعي يعمل على قيادة الدنيا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والقانونية وغيرها بعيدا عن أوامر الدين ونواهيه.تعتبر فرنسا أول دولة أروبية تقيم النظام العلماني بعد ثورة ١٧٩٨م بما يتضمنه من الحاد وإبعاد للدين من كافة مجالات الحياة بالإضافة لبغض الدين ومعاداته وذلك لان الدين يومئذ لم يكن هو وحي الله الذي نزل على عيسى عليه السلام وإنما تدخلت فيه أيدي الكهان والقساوسة فبدلت وغيرت وأضافت وحذفت وجعلت ذلك دينا يجب الالتزام والتعبد به وكان نتيجة ذلك أن تعارض الدين المبدل مع فطرة الناس ومصالحهم في دنياهم ومعاملاتهم كما تعارض في ذات الوقت مع حقائق العلم لذا خرج الناس عليه وأقامت الكنيسة محاكم التفتيش في محاولة لرد الناس إليه بالقوة، بعد أن أصدرت البابوية قوائم بالكتب التي يحرم الاطلاع عليها وكل من يعثر عنده على كتاب منها يقدم لهذه المحاكم فحاكمت العلماء وعاقبتهم

---

١ القاموس الانجليزي

على الاكتشافات المناقضة للدين المبدل فإتهمتهم بالزندقة والإلحاد فقتلت من قتلت وحرقت من حرقت كما أخذت في إصدار صلوك الغفران وقرارات الحرمان لابتزاز الناس وأكل أموالهم بالباطل وما لبثت، أن أقامت تحالفاً غير شريف مع الحكام الظالمين وأسبغت عليهم هالات من التقديس والعصمة وبررت كل ما يأتون به من فظائع في حق شعوبهم زاعمة أن هذا هو الدين الذي ينبغي على الجميع الرضوخ له، وأسفرت هذه التحديات عن نتائج لم تكن في صالح الكنيسة فزادت الفجوة بينها وبين الناس وارتفعت الأصوات تندد بالطغيان الكنسي ثم أسمهت الكشوف العلمية في إيجاد فكر لا ديني بدأ ضعيفاً ثم قوى واشتد فيما بعد ونتج عن ذلك اتجاهان كبيران أدعى كل منهما أنه المصدر الوحيد للمعرفة بعد فقدان الثقة في الكنيسة كمصدر لمعرفة يقنية هما:-

١-الاتجاه العقلي الذي يدعو لسيادة العقل وهو ما يعرف((بالعقلانية)) التي تعني قطع صلة الانسان بعالم الغيب والتفرغ لعالم الشهادة كما تعرف بالنزعة الانسانية وتعني الامور التي يؤخذ العلم فيها من الانسان لا من الوحى الرباني وهي نزعة لا دينية،فيحتكم الناس إلي العقل وحده في كل الامور سواء أكانت من اختصاص العقل أم لم تكن.

٢-الاتجاه الوضعي الذي يدعو لسيادة الحس ويبني المعرفة على الملاحظة والتجربة وأدواتها الحواس الخمسة فما يدرك بها فهو الموجود وما لايدرك بها فهو خداع ووهم وبذا تم الخروج على هذا الدين الذى يحارب العلم ويناصر الخرافة والمجرميين والتمرد عليه وابعاده وطرده من كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها وقامت على أنقاضه فلسفات إجتماعية مادية تعتمد على هذين الاتجاهين كمصادر للمعرفة وانكرت وجود ما لا يدرك بواحدة منها واطلقت عليه علم ما وراء الطبيعة ((الميتافيزيقيا)) قاد هذان الاتجاهان إلى الإلحاد وانكار وجود الله كما فعل

فولتير[١] حيث دعا إلى دين جديد هو الدين الطبيعي أما الله فيه فهي الطبيعة نفسها واعتبره إلها جذاباً لا وجود فيه لرجال الدين الذين يأتون بالعقائد الطلسمية التي يستغلون ويستعبدون الناس بها.كما دعا أخرون للقول بأنه اذا كان هنالك إله قد خلق هذا الكون فقدانتهي بذلك دوره فهو يملك الكون ولكن لا يحكمه فالذي يحكم هذا الكون الأن هو الانسان وهو أشبه بملكة بريطانيا التى تملك ولا تحكم ومن هنا جاءت مقولة ((ان الانسان هو سيد الوجود)) وشبه آخرون خلق الله للكون بصانع الساعة الذي لم يكن له تدبير فيها بعد خروجها من يده.

صور العلمانية :-

افرزت هذه الفلسفات الاجتماعية المادية صورتين للعلمانية:-

١- العلمانية الملحدة((المتطرفة)) و هي التى تنكر وجود الله الخالق ولا تعترف به ومن ثم ترفض الدين جملة وتحارب من يدعو إليه ولعل أبرز صورها تبدو في الشيوعية ((المادية الجدلية الماركسية)) التى كانت سائدة في الاتحاد السوفيتي السابق والحكم بكفرها أمر ميسور لكافة المسلمين .

٢- العلمانية غير الملحدة((المعتدلة)) فهي لا تنكر وجود الله وتؤمن به ايماناً نظرياً ولكنها تنكر تدخله في شئون الدنيا وتنادي بعزل الدين عن الحياة فلا يتدخل في الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية ويقبع فقط داخل جدران الكنيسة وأبرز نموذج لها يبدو في الليبرالية الغربية (الرأسمالية) في أوربا الغربية وهذه الصورة اشد خطرا على عوام المسلمين لعدم إنكارها لوجود الله وعدم ظهور محاربتها للدين مما يخفي على كثير من المسلمين مخالفتها للإسلام وذلك لضعف علمهم ومعرفتهم الصحيحة به حيث نجد اليوم معظم الانظمة الحاكمة في بلاد المسلمين انظمة

١ فولتير فيلسوف فرنسي يعتبر رائد عصر التنوير في أوربا

علمانية واغلب المسلمين لايعرف ذلك.و قد عمل الغرب على نقل هذه العلمانية لبلاد المسلمين بعدة طرق منها:

١-البعثات الدراسية:

لعل اشهر البعثات لاوربا تلك التي أوفدها محمد علي باشا[١] لكل من فرنسا وايطاليا في إطار جهوده لتطوير أوجه الحياة في مصر وكان الغرب قد عمل على نفس المنوال فمنح بعض الطلاب من دول العالم الإسلامي منح دراسية في مختلف التخصصات.(طب، زراعة، هندسة...الخ) وتعهد الغرب هؤلاء المبعوثين بالرعاية وعمل على تشربهم بالثقافة الغربية وغرس مفهوم أن النهضة التي تمت في أوربا حدثت بعد مفارقتها للدين، وأن الدين لابد ان يخرج من حياة الناس جملة واحدة ويقبع فقط داخل الكنيسة أو المسجد ولا يدخل في الاقتصاد، ولا الاجتماع، ولا السياسة، وتخرج وفقاً لهذا المنهج جملة من أبناء العالم الإسلامي وأفضل مثال لهؤلاء المبعوثين د. طه حسين عميد الأدب العربي المعروف حيث يظهر أثر الغزو الثقافي الفكري في كلما كتب، حتى إسلامياته لا تخلو من أثر الغزو الثقافي حيث يبدو تأثره بالمستشرقين فيها واضحاً.

٢-القانون:-

يعتبر القانون من أهم وسائل تغلغل العلمانية في العالم الإسلامي حيث نشأت فلسفة القانون في الغرب اعتماداً على كتاب العقد الاجتماعي لجان جاك روسو[٢] حيث أصبح الشعب مصدراً التشريع (عن طريق البرلمان) ومن ثم تم نقل هذه القوانين الإنجليزية والفرنسية لدول العالم الإسلامي لتحل محل التشريع الإسلامي الذي كان سائداً، فنشأت ثنائية في القوانين والتي قامت بدورها على ثنائية التعليم فأصبحت هنالك قوانين أحوال شخصية مستمدة من الشريعة الاسلامية وقوانين مدنيه وجنائية مستمدة من القانون الانجليزي او

---

١ -محمد علي باشا ألباني الجنسية حكم مصر من قبل الاتراك العثمانيين

٢ - مفكر فرنسي مهد لقيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩مالتي أقصت الكنيسة عن الحياة وجاءت بالنظام العلماني .

الفرنسي حسب الدولة التي تستعمر بلاد المسلمين، وحينما جاءت الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨ [١] بقيادة نابليون بونابرت، وجاء معها من يبعث الفرعونية لزلزلة الولاء للإسلام وربط المصريون بتاريخهم الفرعوني بدل عن الإسلام ،يقول أحد المستشرقون((٠اننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض لنستخرج ما قبل الإسلام ولسنا نطمع ان يرتد المسلم ولكن يكفينا تذبذب ولائه بين الإسلام وبين تلك الحضارات))[٢] وكانت نتيجة ذلك الدعوة إلى فرعونية مصر على يد د.طه حسين ود.لويس عوض وآخرين ،ثم تلتها الحملة البريطانية عام ١٨٨٢م، وكانتا حملتين صليبيتين، وأن تخفتا بستار تطوير وترقية وتنمية مصر فقد كانت أهم أعمال نابليون في مصر إلغاء الشريعة الإسلامية واستبدالها بالقانون الوضعي الفرنسي وحينما احتج علماء الأزهر وشعب مصر أمر بضرب الأزهر بالقنابل وحوله لاسطبل للخيول، فقد كانوا يريدون تنصير المسلمين ولكن تطبيق حد الردة يحول دون ذلك وأردوا نشر الخمور والبارات ولكن حد الخمر يحول دونهما كما كانوا يريدون استقلال أمول الناس بالربا ولكن تحريمه يحول دون ذلك ولاحظوا أن خطر الشريعة يتمثل في حثها على الجهاد كما أنها تؤكد إحساس المسلم بإسلامه واعتزازه به لأنها ربانية وغيرها بضاعة بشرية لا ترقي إلي ما جاء به الله ولذلك عملوا على الغاء الشريعة واستبدالها بالقوانين الوضعية لأنه حين تزول الحدود التي تحرم الفواحش يتسنى للغرب عندئذ أن يحكم قبضته على العالم الإسلامي، أن تنحية الشريعة كانت امرا بالغ الخطورة في مجري الأحداث التى وقعت في العالم الاسلامي لأنها كانت حاجزا ضخما بين الاحتلال الصليبي الصهيوني وبين أهدافه الرامية لاحتلال العالم الإسلامي وإحكام السيطرة عليه.

---

١ – نابليون بونابلرت قائد عسكري فرنسي اخضع كثيرا من البلاد للامبراطورية الفرنسية داخل اوربا وخارجها

٢ – اكرم ناجي (الشرق الادنمجتمعه وثقافته) القاهرة ١٩٩٣ ص١٢٧

٣-التعليم:

وظيفة التعليم الاساسية هي غرس القيم وتعميقها في نفوس الناشئة بالإضافة إلى عمليات التنشئة الاجتماعية و من بعد ذلك تعمل الثقافة على تجسيد هذه القيم لتكون واقعاً معاشاً الشئ الذي يدل على الارتباط الوثيق بين التعليم والثقافة، يعتبر التعليم من أهم الوسائل التي نقل بها الغرب العلمانية لبلاد العالم الإسلامي وذلك من خلال المناهج التي عمل فيها على تثبيت مفاهيمه للكون والحياة والإنسان((الإنسان سيد الوجود)) ونظرية التطور والارتقاء في علوم الأحياء لتشارلس دارون.[١]ومفهوم أن المادة لا تفنى ولا تستحدث كما في علم الكيمياء...الخ .يقول المستشرق شاتلييه (اتفقت آراء سفراء الدول الكبرى في عاصمة السلطنة العثمانية على أن معاهد التعليم الثانوي التي أسسها الاوربيون كان لها تأثير على حل المسألة الشرقة مما يرجح تأثير العمل المشترك الذي قامت به دول أوربا كلها)[٢].والمسألة الشرقية المشار اليها هي مسألة القضاء على الخلافة العثمانية وتمزيق العالم الاسلامي وتوزيع أسلابه على الصليبيين بالإضافة لتخريج أجيال لا يعرفون حقيقة الاسلام وينفرون من الحياة الدينية ولديهم الاستعداد لنبذ الدين يقول كرومرفي ذات المعني (أن التوسع في التعليم الابتدائي والثانوي في مصر أنتج أتجاهاً علمانياً متزايداً) كان كرومر حاكم مصر الانجليزي قد انتدب مستر دانلوب [٣] ليضع سياسة للتعليم في مصر لتخرج علمانيين لا يعرفون عن إسلامهم إلا الشبهات التي يثيرها المستشرقون ولا يعرفون عن تاريخهم إلا أسوأ ما فيه بينما تسلط الأضواء أمامهم على أوربا وحضارتها كما لا يرون في وجود المستعمر دافعاً إلى الجهاد المتصل بالعقيدة مباشرة أما الجهاد السياسي فأمره أهون بالنسبة للمستعمر فهو يتم عبر لقاءات ومفاوضات ومساومات وفي كل مرة يخرج المحتل الغاصب منتصراً على المغلوبين وكان المطلوب أيضاً تخريج

---

١ – عالم احياء يهودي زعم ان الانسان نتاج تطور الحيوانات الدنيا من امبيبا وزواحق وثديات

٢ – شاتليه الغارة على العالم الانساني ترجمة محي الدين الخطيب القاهرة ١٩٩١ ص ٧٢

٣ –دانلوب كنسي خريج مدرسة اللاهوت لندن انتدب لوضع مناهج التعليم في مصر

أجيال لا ترفض الذوبان في الغرب بل تقبله على أساس أنه وسيلة للخروج من التخلف والسير نحو الحضارة والتقدم والرقى وذلك لا يكون إلا بسياسة تعليمية تعمل على قتل اعتزاز المسلم بإسلامه ولغته وتاريخه وأمجاده و تزرع بدلا عنها انسلاخاً من الدين وإعراضاً عن اللغة وانحلالاً من التاريخ وتشويهاً لكل ما يعتز به المسلم من أمجاده وجاء التلاميذ الذين خرجهم دانلوب فحملوا رسالة الانسلاخ من الدين والذوبان في الغرب ففتحوا قلوبهم وعقولهم لما يبثه المستشرقون من أفكار فأثروا بذلك في حياة المسلمين وكانوا هم خلاصة السم الصليبي الصهيوني.

فالطالب الذي يتخرج من هذا المنهج لم يعرف دينه من مصادره الإسلامية الصحيحة ولكن أعطيت له صورة مشوهة عنه وعن أهدافه وعن آثاره في الأرض ولم يعرف من تاريخه إلا الاسود منه الذي أُبرِز أمامه بينما أُخفيَ عنه كل ناصع ومشرق ولم يعرف من أسباب تخلفه إلا أنه ناشئ من الدين ومن الإسلام بصفة خاصة ، وأن المَخرج هو إتباع أوربا والتخلي عن الإسلام وإن استحال ذلك فاليكن في أصغر حجم علاقة بين العبد والرب محلها القلب ولا صلة لها بواقع الحياة فلا يرجع له المسلمون في كل صغيرة وكبيرة ويجعلونه منبعاً ومرتكزاً لتصرفاتهم ومواقفهم بل ينبغي أن يذوبوا في الحضارة الغربية فلا تكن لهم شخصيتهم المستقلة المتميزة المستمدة من دينهم والتي يقفون بها في وجه الغرب وأطماعه الاستعمارية ودعوته للعقلانية التي تقطع كل صلة للإنسان بعالم الغيب والتفرغ لعالم الشهادة في حدود ما تدركه الحواس.

٤-الإعلام:

يقوم الإعلام علي مخاطبة الشعور والأمن عبارة عن شعور يحس من خلاله الفرد بالأمان لذلك فأن مخاطبة هذا الشعور من خلال وسائل الأعلام يؤثر تأثراً بالغاً وسريعاً ولذا كان للإعلام تأثيره البالغ على الأمن الفكري والثقافي للأمة خاصة في عصر ثورة الاتصالات والمعلومات ذات الاتجاه الواحد والتأثير السلبي علينا والمخطط له من قبل الأعداء والتي تتم صناعته

بمئات القنوات التلفازية والوسائط الأخرى لتغيير العادات والقيم والتقاليد والمفاهيم لدي الشعوب المستهلكة لهذه المواد الإعلامية والثقافية خاصة دول العالم الإسلامي فتعيد تشكيل ثقافتها وقيمها الاجتماعية وبذا أصبح الإعلام أهم وسائل الغزو بوسائطه الجذابة وتشكيله لاتجاهات الرأي العام الشئ الذي يحدث تلازماً بين الأمن والإعلام ،ولعل أصدق مثال لذلك نقل الإعلام الغربي لمشكلة دارفور من المحلية للعالمية في زمن وجيز مقارنة بمشكلة جنوب السودان التي استمرت لأكثر من خمسين عاماًكما إن معظم ما تم تنفيذه على خارطة العالم من المخططات التي تصل أحيانا إلى احتلال الدول قد استند فيها على قاعدة متينة من التأييد العالمي بعد تشكيل وبلورة الرأي العام في اتجاه ذلك التأييد والذي تم من خلال استراتيجيات وخطط إعلامية محكمة واعتماد وسائط ذات خصائص تكنلوجية متطورة وكادر فعال ذو قدرات عالية ،ويعتبر الغرب الإعلام هو وسيلته المثلى للغزو الفكري والثقافي وذلك بفرض القيم الغربية والفكر الغربي في ظل انفتاح الحدود والفضائيات وعدم قدرة دول العالم الإسلامي لمنافسة الوافد عليها من الثقافات والأفكار والقيم والعادات التي تصادم الموروث الثقافي الفكري لها مما يعني طبيعية العلاقة الوثيقة بين الغزو الفكري الثقافي و الإعلام.

يقول الشاعر :

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه ** اذا انت تبنيه وغيرك يهدمه

عليه فالإعلام سلاح ذو حدين يمكن أن يبنى كما يمكن أن يهدم وقد أستخدمه الغرب وسيلة للغزو الثقافي لهدم ثقافة المسلمين وفكرهم وبناء ثقافته و(علمانيته) على أنقاضها مستخدماً في ذلك الإعلام المنظور والمسموع والمقروء والوسائط الالكترونية ((الصورة والصوت والصحف والدوريات والمجلات والمسلسلات...الخ) مركزاً على نظرية الطرق الاعلامي لتثبيت مفاهيمه وقيمه كالإباحية وبهيمية الانسان ..الخ

٥-النصارى:

لم يكره الإسلام أحداً للدخول فيه الشيء الذى جعل بلاد العالم الاسلامي تحتضن أعداداً كبيرة من اليهود والنصارى الذين استخدمهم الغرب وسيلة لنشر العلمانية وذلك للتشابه فى الاعتقاد الديني فيما بينهم ولمعرفتهم الدقيقة بمجتمعاتهم فقد كانوا أول من حمل راية العلمانية في دول العالم الإسلامي سواء كانت علمانية متطرفة أو معتدلة كميشيل عفلق [١]مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق ود.لويس عوض [٢] في مصر...الخ. بالإضافة للممثلات والفنانات وغيرهم مِن مَن يعرفون بالنجوم وجلهم من نصارى الشام.

٦- الفرق الباطنية:

تدعى هذه الفرق أن لنصوص الدين الإسلامي ظاهراً وباطناً لا تعبر عنه عبارات اللغة وإنما يعرف بالذوق والإشراق والعرفان من أصحاب العلم اللدني.

وهي فرق تنتمي للإسلام أسماً ولكنها خارجة عليه بإجماع المسلمين وتعمل على تغويضه من الداخل نذكر منها علي سبيل المثال النصيرية و العلويين في سوريا والدروز في لبنان وغيرها، فقد مكنت هذه الفرق للاستعمار الفرنسي في بلاد الشام. وتقبلت العلمانية وتفاعلت وانفعلت بها ومهدت لها الطريق لتكون واقعاً يعيشه المسلمون في تلك البلاد.

٧-الاقتصاد والتجارة:

كان للاقتصاد والتجارة دور كبير في الغزو الغربى للعالم الإسلامي والتمكين لثقافته وقيمه، وذلك عن طريق استخدام الربا في المصارف وبعدها في كل النشاط الاقتصادي بعد تنحية الشريعة الاسلامية التي تحرم الربا وانتشر بعد ذلك المرابون من اليهود والنصارى في بلدان العالم الاسلامي وعملوا على نهب ثروات البلاد وتصديرها للخارج كما جعلوا البلاد سوقاً

١ - مشيل عفلق نصراني عراقي زعيم ومؤسس حزب البحث العربي الاشتراكي
٢- د.لويس عوض مسيحي قبطي أحد دعاة فرعونية مصر تلميذ د. طه حسن

لمنتجاتهم حتى الخمور ولحوم الخنزير ودهونه. مما حدا ببعض المسلمين ليمارسوا الربا والغش التجاري بصوره يومية ولا يرون في ذلك حرجاً.

٨- **السياسة:**

تعتبر السياسة من الوسائل التي عول عليها الغرب في نشر العلمانية في دول العالم الإسلامي، وقد قامت فلسفة الحكم والسياسة في الغرب على أساس الديمقراطية غير المباشرة وذلك بعد الرجوع للتراث اليوناني القديم قبل ميلاد المسيح وأخذ النظام الديمقراطي عن أثينا. والديمقراطية تعني حكم الشعب للشعب وبالشعب وقد أدخلت للعالم الإسلامي لتكون بديلاً للشورى في فكر الاسلام السياسي وقاموا بأنشاء احزاب في كل دول العالم الاسلامي على مفاهيم الوطنية والقومية كرايات يتجمع حولها الناس بعد أن كان يلتفون حول راية لا إله إلا الله لتعمل هذه الاحزاب على تمزيق الدولة بالتنازع فيما بينها ويسود عدم الاستقرار وينفرط عقد الأمن ولا تتفرغ هذه الدول للبناء والتنمية وتظل مرتبطة بهذه الدول الاستعمارية حتى لو نالت استقلالها السياسي فتظل مستعمرة اقتصادياً وثقافياً.

٩- **العلوم:**

بالرجوع لتاريخ العلوم في أوربا يتضح لنا أنها نشأت في الغرب بشقيها العلوم الطبيعية والإنسانية في كنف مناخ معادى للدين فكانت مخرجاتها تغذى هذا الاتجاه خاصة العلوم الإنسانية كعلم النفس والعلوم السياسية وعلم الاجتماع والفلسفة والتاريخ والتربية وغيرها، وانتقلت هذه العلوم بما تحمل من ظلال لمحاربة الدين والحط من قدره ودوره في الحياة بذات المفهوم للعالم الاسلامي لتؤطر للفصل بين الحياة والدين وتعزيز البناء العلماني في النفوس والعقول مما يحتم علينا عدم أخذها جملة واحدة وإنما يجب تمحيصها لاسيما وأن أصول هذه العلوم والمعارف إسلامياً وقد دخلت إلى أوربا من جامعات الأندلس في قرطبة وغيرها تاريخياً.

المطلب الثالث : الغزو الموجه عبر الخدمات الانسانية والفنون والأعراق:

لم يكن الغزو الفكري والثقافي للعالم الاسلامي مباشراً فقط وانما اتخذ ايضا اشكالا غير مباشرة كما رأينا وموجهة أيضاً عبر عدة منافذ على النحو الآتي:-

اولا العمل الانساني الطوعي:-عندما غادر الاستعمار دول العالم الاسلامي ترك فيها كثيراً من القنابل الموقوتة اما مشاكل في الحدود بين الدول او وجود أقليات عرقية واثنية أو طائفية داخل الدولة الواحدة ثم لا يلبث أن ياخذ في اثارة وتزكية نزاع الحدود أو النفخ في الاقليات واثارة النعرات القبلية والطائفية وتقديم المساعدات الفنية والمادية والعسكرية لها لتحويل النزاع لصراع مسلح أو دعم الاقليات لتخرج على سلطان دولها وتقاتلها ثم يعمل بعد ذلك على معالجة افرازات هذا الصراع من نزوح وجوع ومرض وفقر بمنظماته الطوعية بعد ان يسلط الضوء عليها اعلاميا ويصور ماساة الناس والظرف الذي يعيشون فيه والاحتياجات العاجلة لهم فتسرع هذه المنظمات في جمع التبرعات من الخيريين لإنقاذ هؤلاء الناس بالإضافة لما تقدمه منظمات الامم المتحدة .

<u>الاغاثة:-</u>

لاشك أن المتأثرين بهذه الحروب من نساء واطفال وعجزة وهم قد غادروا ديارهم وفقدوا مصادر دخلهم فهم بحاجة إلى المأوى الذي يقيهم الحر والبرد كما هم بحاجة الي مياه نقية وحمامات لكي لا تنتشر الاوبئة وسطهم وغالبا ما يتم تجميعهم في خيام في شكل معسكر يضم هولاء النازحين او اللاجئين بالاضافة لتوفير الكساء والغذاء في شكل وجبات جاهزة في بادي الامر ثم توزيع لهم فيما بعد مواقد ومواد خام لتقوم كل اسرة بعد ذلك بطهي طعامها والذي غالبا ما يكون قريباً مما كانوا عليه في موطنهم.

<u>العلاج والخدمات الطبية:-</u> احتياج هؤلاء النازحين و اللاجئين للعلاج والعناية الطبية لايقل عن حوجتهم للمأكل والمشرب والمأوي وذلك للأثار النفسية والبدنية لهذا الصراع الشئ الذي يدفع المنظمات الطوعية الغربية لعمل

مستشفيات ميدانية وتقدم فيها خدمات العلاج من مداواة للجرحي وسوء التغذية والاكتئاب وغيرها وتوفير الادوية والمحاليل الوريدية والمستهلكات الطبية مجاناً.

خدمات التعليم ومحو الأمية:- تخصصت بعض المنظمات الغربية في تقديم خدمات التعليم للأجئين والنازحين في معسكراتهم وتتكفل بتوفير كل معينات العملية التعليمية من معلميين وكتب وكراسات وغيرها مع تعهد كامل للتلاميذ ورعاية صحية وتغذية لهم.

أن خدمات الاعاثة والعلاج والتعليم التي تقدم لهولاء النازحين واللاجئين تقدم من خلالها الدعوة للتنصير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة فتقدم مثلا حلوى للأطفال ويقال لهم هذه حلاوة المسيح تقدم أخرى مرة المذاق حامضة الطعم ويقال لهم هذه حلاوة محمد إن هذه الخدمات تؤثر في نفوس بعض الناس فيبدأ بالإطراء عليهم يقول أحد النازحين بعد أن تلقي الاغاثة الامريكية أيام الرئيس الامريكي ريغان:-

يسلم لينا ريغان خل الشعوب تتضامن
بس فيه عيباً واحد بس بالرسول ما بيامن

ويقول أيضا معدداً ما جادوا به عليه :-

جاب اللبن ابو لمعة وجاب الزيت للدمعة

كما ان الخدمات هذه التى يقدمها الغرب تظهره في اعين البسطاء من المسلمين وما اكثرهم بالمظهر الانساني ويحاول بذلك الغرب ان يثبت في خلدهم بان العلمانية أو النصرانية افضل من الاسلام فيكون الغرب بذلك يفلق ويداوى كما يقولون.

لاشك ان هذه الخدمات تزلزل قناعات بعض الناس فيتم تنصيرهم ويترتب على ذلك خلق كيانات مسيحية وسط المسلمين لتصبح بؤرا للتؤتر تؤدي لتأجيج الصراع الديني الطائفي مستقبلاً وخلق عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي ويعمل على تعطيل التنمية في الدول الاسلامية لتصبح رهينة للغرب.

١٢- **المسرح والسينما:**

يعتبر المسرح من أهم وسائل التعليم غير المباشر والمؤثر في الوجدان وقد قيل قديماً(اعطنى مسرحاً أعطيك أمة) وقد وظف الغرب المسرح كما وظف السينما في بلاد المسلمين ليخرج أمة علمانية وذلك بزرع مفاهيمه وتصوراته عن الأنسان والكون والحياة في نفوس المسلمين بما يقدمه من روايات ومسرحيات للعالم الإسلامي تحمل هذا التصور بالإضافة للعمل على تصويره للإسلام والأديان عموماً بأنها ضد الفنون والمسرح . ولذا أصبح كل الذي يقدمه على خشبة المسرح والسينما يعززان للعلمانية والقيم والمفاهيم الغربية بنشر الصور الخليعة العارية التي تخدش الحياء وتدعوا للاباحية والتحلل من القيم والاخلاق وتدعو للسفور والزنا والشذوذ وتعتبرها من الحريات الشخصية .

١٣- **الأدب والشعر :**

يعكس الأدب والشعر وجدان الأمة ويبرزان تقدمها وانحطاطها ويعبران عنها فكرياً وثقافياً وهما من وسائل التغيير الفكري لذا اهتم بهما الغرب .فعمل على حث ودفع الادباء والشعراء على توظيف الأدب والشعر العربي الحديث لخدمة المفاهيم العلمانية كشعرأيليا أبو ماض[١] اللبناني أحد شعراء المهجر حيث يقول في إحدى قصائده مثلاً:-

قد سألت البحر يوماً ***هل أنا يابحر منك

اصحيح ماروه أنهم عني وعنك * ضحكت أمواجه مني وقالت لست أدري**

وعلام لست أدري لست أدري * وكل ما أدريه اني لست أدري**

يروج هذا الشاعر بهذه الابيات لفلسفة الشك التي قال بهاالفيلسوف اليوناني بيرون [٢] بالاضافة لنظرية النشؤ والارتقاء لدارون، وبذا يصبح هذا

١ إيليا أبو ماضي شاعر لبناني معاصر مسيحي هاجر الى امريكا وكون مع جبران خليل حبران رابطة شعراء المهجر .

٢ بيرون فيلسوف يوناني سفسطائي صاحب مدرسة اللادرية وقد تصدى له الفيلسوف سقراطفدحض حجته باللادرية .

الابداع الأدبي وسيلة للقدح في القيم والأصول الإسلامية والعقيدة ويمكن للعلمانية في العالم الإسلامي.

.القومية:

مشتقه من كلمة القوم وهم الجماعة وتعني الذين ينتسبون لجد واحد أو عرق واحد أو دم واحد ويتحدثون لغة واحدة وثقافة واحدة، ولما كان العالم الإسلامي يتكون من قوميات عديدةكان يجمع فيما بينها إيمانها بإله واحد ورسول واحد وكتاب واحدودين واحد في كنف دولة واحدة هي الدولة الغثمانية .غير أن الغرب عمل على تحريض هذه القوميات على الإمبراطورية العثمانية التركية الحاكمة يومئذ وجعلها تلتف حول وهم العرق واللغة. وذلك باثارة وتعهد ورعاية الشعور القومى وتزكيته بين مكونات الامبراطورية ليعمل على تفتيتها إستناداً على الاساس القومي حيث تعهد جمعيات (تركيا الفتاة+ القحطانيون دعاة القومية العربية +...الخ).في لندن وباريس . وحينما وصل رجال الاتحاد والترقي للسلطة في تركيا عملوا على تتريك القوميات الاخرى مما أدى الى اصطدام هذه القوميات بالاتراك خاصة القومية العربية مما أدى إلى تمزيق هذه الإمبراطورية إلى دويلات على الاساس العرقي خاضعة للاستعمار الفرنسي او الإنجليزي ولم ينالوا استقلالهم كما وعدوا بذلك قبل الحرب ولكنهم استبدلوا سيد بسيد((فاصبحوا كما يقولون كالمستجير من الرمضاء بالنار)) ولم يعد الاسلام أحد مكوناتها السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية وأخذت كل من فرنسا وبريطانيا تعمل على نشر العلمانية في مستعمراتها بتلك الوسائل التي أشرنا لها من قبل .

الفصل الثالث

مواجهة الغزو الفكري

بدأت المواجهة للغزو الثقافي الفكري فى شكلها السياسي والاجتماعي بدعوة جمال الدين الأفغاني(١) والشيخ محمد عبده (٢) ولعل أبرز صور هذه المواجهة الفكرية تبدو في الصراع الفكري الذي دار بين أصحاب الجديد والقديم في مصر(د. طه حسين ولويس عوض) من جانب وهما يركزان على أخذ الحضارة الغربية بخيرها وشرها وبين الاستاذ (مصطفى صادق الرافعي(٣) وآخرون من الجانب الآخر)وقد تناولت الورقة تفصيل ذلك في المطالب الآتية :-

المطلب الاول : المحافظة على هوية الامة وتراثها:-

ان اولى خطوات مواجهة الغزو الفكري ينبغي ان تكون بتعريف المسلم بحقيقة دينه الذي يقوم ابتداءا على اساس العبودية الخالصة لله بتوحيد الالوهية التى تعني افراده بالعبادة وتوحيد الربوبية التى تعني افراده بالتشريع وتنفيهما عن كل أحد سواه وتعمق مفهوم أن الحكم بنصوص الشرع والالتزام بها ليس الا وجها من اوجه افراد الله بالعبادة ومن ثم فهي ركن اصيل في الاسلام لانها نابعة من شهادة لا اله الا الله التى هي عقيدة وشريعة ومنهاج حياة لذا فالإسلام مخالف لكل مناهج الارض لان الحاكمية فيه لله لا لاحد من البشر بمعنى ان شريعة الله هي التي تحكم ويجتهد العلماء فيما لا نص فيه في داخل الاطار المحكم لشريعة الله بحيث لا يحلون حراماً ولا يحرمون حلالاً ولا يخالفون مقاصد الشريعة.((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا سليما))(٤)

١ - جمال الدين الافغاني من افغنستان تولى الدعوة لاخذ ما لا يتعارض مع الاسلام من الحضارة الغربية

٢ - أحد علماء الازهر قاد عمليات الاصلاح الاجتماعي

٣ - مصطفى صادق الرافعي عالم مصري تصدى لدعاوى طه حسين في قوله بنحل الشعر العربي في كتابه تحت راية القرآن

٤ - سورة النساء الاية ٦٥

((وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل إليك))[١]

((وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم))[٢]

((أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون))[٣]

الاسلام ليس شيئا مختلفا عن الحياة بالنسبة للمسلم الحقيقي

((قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له))[٤]

فالإسلام بالنسبة للمسلم يشمل كل لحظة من لحظات حياته وكل تصرف وكل عمل وكل شعور بالاضافة لأن تكون الحياة بتعاليمه وتوجيهاته ومبادئه وقيمه تشكل واقعه المعاش بكل مجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية فهو منهج رباني ينشئ الانسان الصالح ويحرره من عبودية غير الله. حقيقة أن الفترة المثالية الاولى التي ارتفع فيها المسلمون عن ذواتهم وحققوا تلك البطولات التاريخية النادرة قد انحسرت وبقية الصورة العادية للإسلام ولكنها أنشات المنهج التجريبي في البحث العلمي الذي اصبح اساس نهضة أوربا التى لم ترتفع للافق الانساني الذي كان عند المسلمين فعملت علاوة على ما يفيد البشرية عملت ايضا على ما دمرها روحياًوخلقيا وماديا كما أنشا هذا الاسلام العادي مفهوم الامة بمعنى المجموعة من الناس اللذين يلتقون في عقيدة مشتركة ولكن اوربا حينما اقامت مفهوم الامة لم تقمه على العقيدة في الله كما هو الحال في الاسلام ولكن اقامته على الاساس القومي ولذا احدثت من الشر اكثر مما أحدثت من الخير من خلال الصراع والحروب والاستعمار والاستعباد لغيرها من الشعوب.

---

١ – سورة المائدة الآية ٤٣

٢ – سورة الأحزاب الاية ٣٦

٣ – سورة المائدة الآية ٥٠

٤ – سورة الانعام الآية ٦

فأخذت أوربا المفهوم الأممي باحتكاكها بالمسلمين في الحروب الصلبية ، فخرجت بذلك من حياة الاقطاع حيث السيد الاقطاعي يحكم أقطاعيته بصورة شموليه تتمثل جميع السلطات فى يده (التشريعية والتنفيذية والقضائية) وتنفصل كل اقطاعيه عن غيرها من الاقطاعيات انفصالا كاملا علاوة على انفصال العاملين فيها عن الكيان الحقيقي للانسان اذ هم عبيد لهذا الاله الصغير صاحب السلطان المطلق عليهم

الاسلام يعتبر أول نظام واقعي طبق في واقع البشر محاولا اقامة ملكوت الله في الارض وازالة كل طاغوت سواء كان صنما يعبد في عالم المحسوسات أووثناً يؤله في عالم المعنويات او كان فردا او قبيلة او امة او كان عرفاً مستمدا من باطل الناس او كان قوة مادية او اقتصادية او سياسية) ولم يرجئه إلى الدار الأخرة كما فعلت المسيحية واقامت في واقعها القانون الروماني الذي اباح استرقاق الامم والشعوب والاقطاع ثم الرأسمالية.و الاسلام هو القوة الوحيدة في التاريخ التى فتحت البلاد دون ان تستعبد العباد((متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحراراً)) [١] فكفلت للناس حرية العقيدة وحرية العبادة ولم تحجب عن البلاد المفتوحة شيئا مما تملكه من العلم والخير اعتزازا بالغلبة والسلطان.

التأصيل:-

هو الرجوع إلى الأصل وهو الوحي (القرآن السنة) وإقامة الحياة عليهما وهو إذن في جوهره يصادم العلمانية وهو ما يطلق عليه الغرب الأصولية الإسلامية وقد كانت دفعته الفاعلة على يد كوادر المدرسة التربوية في مصر (الاخوان المسلمين)

كالشيخ عبدالقادر[٢] عودة ، الذي تخرج رحمه الله في كلية الحقوق بجامعة القاهرة التي كانت تدرس فيها القوانين الفرنسية ثم عكف بعد تخرجه على البحث والدراسة في التشريع الإسلامي فكانت ثمرة ذلك هذه الاسفار

---

١ - قالها عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص حينما اعتدى ابن الاخير على أحد اقباط مصر وقد امر الخليفة القبطي أن يقتص من ابن والي مصر عمرو بن العاص

٢ عبد القادرعودة أحد اميز كوادر الاخوان المسلمينبمصر ؟اعدمة الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤مله عدة مؤلفات الاسلام وأوضاعنا الاقتصادية والسياسية .

القيمة الاسلام وأوضاعنا القانونية والتشريع الجنائي في الاسلام وغيرها ،وهذا يعنى أن التأصيل يتطلب المعرفة التامة بعلوم الغرب في التخصص المعنى من جانب والتمكن مما يقابله في الفكر الإسلامي من جانب آخر واستناداً على هذا المنهج يمكننا أن نواجه هذا الغزو في محاوره المختلفة في الاقتصاد والاجتماع والسياسة .

المطلب الثاني :- التعليم المنهجي الاسلامي:

لما كان التعليم من أهم المحاورالتي ركز عليها الغرب في نقله للعلمانية لدول العالم الاسلام ينبغي علينا أيضاً أن نركزعليه في مواجهة هذا الغزو وذلك بالآتي :-

١. وضع مناهج التعليم وفقاً للتصور الإسلامي للكون والأنسان والحياة
٢. تصميم المناهج لتعمل على تعزيز الايمان في نفوس الناشئة والتلاميذ والطلاب وغرس القيم الإسلامية الفاضلة ومحاربة الجهوية والعنصرية والتأصيل لقيمة أهمية العمل والزمن في حياة المسلم .
٣. الدقة في اختيار المعلم الكفء الذى ينفذ المنهج فنياً والعمل على إعداده وتدريبه في المراحل الثلاث الأساس والوسطى والثانوي بالإضافة لمرشدات رياض أطفال.
٤. تحقيق المكانة الاجتماعية المرموقة للمعلم.(راجع تجربة الاتحاد السوفيتي + ميركل في ألمانيا) وتوفير احتياجاته المادية.
٥. الاهتمام بالنشاط اللاصفي للتلاميذ وربطه بالصفي.
٦. الاهتمام بتعليم الرحل واليافعين والمعوقين.
٧. الاهتمام بالوسائل التعليمية وخاصة التعليم الالكتروني.
٨. الموازنة بين التعليم الأكاديمي والفني.
٩. ضبط المدارس الأجنبية والخاصة ومراقبة الأداء بها وإلزامها بتدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية وتاريخ وجغرافية وادي النيل وأن يكون كل معلميها وطنيين توافق عليهم الوزارة.

١٠. مناهج المرحلة الثانويةلابد ان تشتمل على المفهوم الشامل للدين وذلك بتوضيح المفهوم الصحيح للاسلام بالإضافة للتعريف بالشيعة والسلفية الجهادية و العنصرية والجهوية والتنبيه علي خطورتها جميعاً كمفاهيم غير اسلامية .
١١. التدرج في المنهج بين المراحل الثلاث وإبراز ضرورة وأهمية المرحلة الوسطي بين الأساس والثانوى وفقاً للتعديل الذى تم في السلم التعليمي السوداني ليصبح ٦- ٣-٣ ليتسق مع أغلب الدول الاسلامية .
١٢. الاهتمام بالمكتبات والتثقيف الذاتي في هذه المراحل الثلاث.
١٣. العمل على توطين التعليم العالي داخل وادي النيل حفاظاً على هوية الأمة وتوفير المعينات اللازمة له.
١٤. مطلوبات الجامعة يجب أن تهتم بغرس الروح الوطنية وأخلاقيات المهنة ((خاصة في كليات الطب ،الهندسة))في نفوس الطلاب وتعزيز العقيدة في النفوس ومحاربة الأفكار الهدامة كالشيوعية والوجودية مع التركيز على التربية الوطنية وقبول الاخر..الخ.
١٥. إبراز التعدد العرقي والثقافي كقوة للدولة وليس عامل هدم لها.
١٦. إصلاح التعليم الديني وإخضاعه لسلطة الدولة لكى لا يفرز مخرجات سالبة كالتطرف والخرافات الشيعية.
١٧. الاهتمام بالتعليم التقني والتقاني لدوره الفاعل في النهضة والتطور واستيعاب الرصيد التربوي.
١٨. الاهتمام بالنشاط الفكري والثقافي والرياضي للقضاء على العنف بالجامعات.
١٩. توظيف الفاقد التربوي(الرصد التربوي) في المجالات الفنيةوالحرفية وتبنى فتح معاهد له..
٢٠. العمل على توفير معامل العلوم والحاسوب بالمدارس الثانوية لتشجيع الطلاب لارتياد المثاق العلمي لأهميته فى تعزيز النهضة والتنمية .

المطلب الثالث :- ضبط وسائل الثقافة (الإعلام – الأداب –الفنون)

الاعلام:

١. للأهمية الكبيرة للإعلام ولتاثيره فيى قطاع واسع من الناس لابد من الاهتمام بتنقية ماتبثه وسائطه من هبوط وانحدار باسم الفن ومن صور خليعة وعري وكلمات ساقطة ومفاهيم غربية تدخل للغرف المغلقة بغير استإذان وذلك بالآتي:-
٢. مراجعة مناهج كليات الاعلام وتحديثها وتأصيلها.
٣. وضع السياسات الاعلامية التي تضبط القنوات والإذاعات والصحف الخاصة.
٤. التركيز على البرامج التي تستهدف البناء الثقافي والفكري للإنسان المسلم وذلك بالتركيز على ابراز ((التصور الإسلامي للإنسان والكون و الحياة)) بالإضافة لاختيارالافلام والمسلسلات التي تنشر القيم كقصة ((يوسف وامرأة العزيز)) ((أبناء يعقوب عليه السلام)).... الخ وبثها في القنوات .
٥. أن تتولى الدولة تدريب الكوادر العاملة في وسائل الإعلام الخاصة. تفادياً للدمار الذي يمكن أن تحدثه في المجتمع بسبب ضعف التأهيل الفني والأخلاقي.
٦. العمل على الانتاج الداخلي للمسلسلات التى تعالج قضايا المجتمع كالجهل والمرض والعنصرية والجهوية وضعف الوطنية ونهب واستغلال ممتلكات الدولة بدلاً عن استيرادها من الخارج لأن المستورد يعالج مشاكل مجتمعات أخرى.
٧. نشر ثقافة السلام والحوار واحترام الآخر وتوضيح حرمة الدماء والأموال وحب الوطن والتضحية من اجله.
٨. تمهين الإعلام حتى لا يصبح مهنة من لا مهنة له.

٩. أن تحدد أهداف واضحة للإعلام كأن يعمل على نشر ثقافة السلام و الاهتمام بالزمن والعمل والإنتاج وحرمة الأموال العامة....الخ

١٠. مراقبه تنفيذ الإستراتيجية القومية للدولة في كل المحاور سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية.

١١. التبشير بما يتم من إنجازات وإيجابيات في المجتمع والدولة لرفع الروح المعنوية للمواطن وإنهاض الهمم وتجنب الاخبار السالبة التي تحبط الناس كالإعلان عن((فشل موسم الإمطار مثلاً لما له من الاثر الاقتصادي والاجتماعي على الناس)) ((إلقاء القبض على قساوسة بتهمه التجسس ولما يترتب عليه من إثارة الغرب عموماً على بلادنا.)) وكموضوع ردة مريم وما ترتب عليه ،من إثارة موضوع عدم وجود الحريات الدينية في السودان والتي أصبحت واحدة من التهم التى تعمل الدولة الآن جاهدة لنفيها فى حوارها مع الغرب عموماً وأمريكا خاصة مما يكلف البلاد كثيرا من العناء كانت فى مندوحة عنه .

الأدب والفنون:

باسمهما وتحت غطاء الحرية الشخصية يعمل الغرب على نشر الفساد والاباحية والشذوذفي دول العالم الاسلامي لتوهين عرى الدين في النفوس ويضفي على رموز هذا الفساد من الالقاب ويمنحهم من الاموال والاوسمة والجوائز ما يغري الآخرين بالانخراط في هذه المفاسد باسم الفن

للأثر الثقافي الهام لهذا المحور لابد من الآتي-:

١. الوقوف على مناهج وأساتذة الأدب والدراما في الكليات والتأكد من تأهيلهم الفني والأخلاقي.

٢. الفن والأدب من الوسائل التي تستخدم عادة لحمل الرسائل الفكرية والثقافية لكل أمة أو حزب او فكره او فلسفه فينبغي الاهتمام بالشعراء والأدباء والفنانين وتوظيف أدبهم لخدمة القضايا الوطنية والفكرية للمشروع الحضاري وذلك بطريقة مباشرة او غير مباشرة فشعراء وفنانين أمثال

(حميد، محجوب شريف، وردى، مصطفى سيد أحمد)هم رموز يحملون رسالة اليسار السوداني وكلنا يلمس إثرهم في المجتمع

٣. طباعة ونشر وإخراج إنتاج المبدعين الملتزم وإعطائهم بعدهم الإعلامي والأدبي يشجع الآخرين على الإنتاج.

٤. العمل على فحص الكتب والأفلام والمجلات والمسلسلات التي تدخل للبلاد والتأكد من سلامتها الفكرية والثقافية والتنبه لأهدافها ومراميها.

السينما والمسرح:

هما من أهم الأدوات والوسائل الثقافية ذات الأثر الكبير والواسع لذا لابد من الآتي في التعامل معهما:-

١. تشجيع الإنتاج الوطني المسرحي و السينمائي ليحل محل الأجنبي.

٢. بناء الكادر الملتزم والمؤهل فنياً وأخلاقياً لينهض بهذا المجال.

٣. توجيه الإنتاج المسرحي والسينمائي لقضايا الأمة الفكرية والاجتماعية والثقافية والسياسية كمحاربة النهب المسلح وحرمه الدماء وحرمة المال العام والعنصرية والجهوية والتطرف الديني والأفكار الهادمة كالعلمانية والشيوعية...الخ وتعزيز مفاهيم أخوة الفكرة والوطن وتقبل الآخر..الخ.

الخاتمة-:

رغم ما يذل الغرب من جهود عسكرية وحربية وغزو فكري وثقافي وتشجيع للدعوات الاسلامية المنحرفة كالقديانية والبهائية وغيرها الا ان حركة البعث الاسلامي قد بدت من بين هذا الركام بصورة قوية أزعجت الغرب فعمل على ضربها بواسطة عملائه في معظم دول العالم و رغم ذلك قدر الله أن تصل بعضها إلي السلطة عبر بوابة الديمقراطية نفسها التى حاول الغرب أن يغرضها نظاماً للحكم في العالم وفي كل الدول الاسلامية التى إجريت فيها انتخابات فاز التيار الإسلامي ولكن التحدي الذي يواجه هذ التيار هو العمل.على تأصيل المعارف و العلوم وكل أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاهتمام بتوضيح المفهوم الصحيح للاسلام بعتباره عقيدة وشريعة ومنهاج حياة وانه يختلف من غيره من الأديان سواء كانت مسيحية او يهودية مع التركيز على تثبيت التصور الاسلامي للانسان والكون والحياة في مناهج التعليم ووسائل الاعلام باعتبار أنها أهم وسائل نقل العلمانية لدول العالم الإسلامي .

المراجع

١- عبد الباقي محمد فؤاد - المعجم المفهرست لألفاظ القران الكريم/الدار الحديث القاهرة١٩٨٧م
٢- القاموس الانجليزي
٣- دائرة المعارف البريطانية
٤ - ابن منظور - لسان العرب المحيط دار الجيل بيروت1988
٥ - ابن حزم الظاهري أبو محمد أحمد - الفصل في الملل والأهواء والنحل دار الجبل بيروت ١٩٩٩م
٦- ابن حزم الظاهري أبو محمد أحمد-الاحكام في اصول الاحكام دار الجيل بيروت ١٩٩٩م
٧- الصالح الشيخ صبحي - مباحث في علوم القران دار الفكر بيروت١٩٨٥م
٨- الصالح الشيخ صبحي - مباحث في علوم الحديث دار الفكر بيروت١٩٨٥م
٩- قطب محمد - مذاهب فكرية معاصرة دار الشروق القاهرة ١٩٩٩
١٠- قطب محمد- المستشرقون والاسلام دار الشروق القاهرة ١٩٩٩م
١١- قطب محمد - التطور والثبات في حياة البشرية دار الشروق القاهرة ١٩٩٩م
١٢- قطب محمد- الانسان بين المادية والاسلام دار الشروق القاهرة ١٩٩٩م
١٣- د. طه حسين -في الاداب الجاهلي دار المعارف بمصر ١٩٦٩م
١٤- د. طه حسين- مستقبل الثقافة في مصر دار المعارف بمصر ١٩٦٩م
١٥- د. طه حسين- الشيخان دار المعارف بمصر ١٩٦٩م15-
١٦- د. حسين طه الفتنة الكبري دار المعارف بمصر ١٩٦٩م
١٧- قطب سيد العدالة الاجتماعية في الاسلام دار الشروق القاهرة ١٩٩٠م

١٨- قطب سيد التصور الاسلامي أصوله ومقوماته دار الشروق القاهرة ١٩٩٠م
١٩- مكي حسن التبشير في العاصمة القومية دار المركز الاسلامي الافريقي ١٩٨٣م
٢٠- كشك محمد جلال الغزو الفكري دار الفكر بيروت ١٩٩٥م
٢١- كشك محمد جلال القومية والغزو الفكري دار الفكر بيروت ١٩٩٥م
٢٢- عودة عبد القادر الاسلام أوضاعنا القانونية دار الفكر بيروت ١٩٩٥م
٢٣- عودة عبد القادر التشريع الجنائي الاسلامي دار الفكر بيروت ١٩٩٥
٢٤- أسد محمد الاسلام على مفترق الطرق ترجمة د. عمر فروخ القاهرة ١٩٨٣م
٢٥- شاتلييه – الغارة على العالم الاسلامي ترجمة محي الدين الخطيب القاهرة ١٩٩٠م
٢٦- إقبال محمد- تجديد الفكر الديني ترجمة عباس محمود العقاد القاهرة ١٩٦٥م
٢٧- نجيب العقيقي – المستشرقون دار الفكر بيروت ١٩٨٣م
٢٨ – لورد كرومر مصر الحديثة القاهرة ١٩٥٧م.